

اليقظة العربية الثانية وقضية فلسطين

الدكتور مهدي عبد الهادي/ باسيا

القدس

فلسطين 2012

ملخص الورقة

يشهد الوطن العربي "يقظة عربية ثانية" مطلع العام 2011، وهي زلزال اجتماعي وسياسي وعصري يحمل رياح الياسمين "المعدّيه" من تونس الى الربيع العربي في مصر (المحروسه) ووصلت هذه الرياح الى ليبيا واليمن وتطورت الى "اعصار" في سوريا وحراك مجتمعي إصلاحي في الأردن، وقد اعترف بذلك وأجمع عليه المؤرخون والمحللون والخبراء العرب والأجانب.

ولغايات قراءة وتفسير هذه اليقظة الثانية، نطرح الأسئلة التالية:

يقظة مَنْ؟ والإجابة أنها يقظة أكثر من سبعين في المائة من الشعب العربي الذي عاش لأكثر من أربعة عقود في نظام دكتاتوري أهدر الثروات، وغيّب العدالة، ونشر الفساد والمحسوبية وفرض الإذلال والقهر والظلم ضد مواطنيه، فنهض الشعب يصرخ: "الشعب يريد إسقاط النظام"، ولحقت بالشعب "النخب السياسية والاجتماعية" بعد سقوط "ثقافة الخوف".

يقظة ماذا؟ والإجابة أنها يقظة الكرامة، من أجل الحرية، من أجل المساواة والعدالة، فعندما أحرق محمد بوعزيزي نفسه في تونس، كان يسجل الآلام ومعاناة المواطن العربي الذي يفضل الموت على استمرار القهر، فضّل "الرماد" على حياة العدم!، وكادت ان تنتشر "ثقافة احراق الذات" في بورسعيد والاسكندريه والقاهرة!

يقظة لماذا؟ والإجابة أنها يقظة من أجل الحقوق في الوطن، من أجل "المواطنة" في دولة مدنية، وليست دينية أو دولة الحاكم ضد المحكوم، دولة القانون والعدالة. لقد شهد الوطن العربي منذ اليقظة العربية الأولى في مطلع القرن التاسع عشر ولأكثر من مائة عام ثلاث أيديولوجيات حكمت مسار الحركة الوطنية العربية والنظام العربي وقضية فلسطين.

المرحلة الأولى: حركة القومية العربية بعد أكثر من أربعمائة عام من الحكم العثماني، وكانت ضد الظلم وضد القهر وضد التخلف والامية، ومن أجل إحياء الهوية القومية وفصلها عن الهوية الدينية (الخلافة العثمانية)، ومن أجل إحياء

الهوية العربية، واللغة العربية وتحقيق الاستقلال العربي والوحدة العربية تحت راية العلم العربي.

كانت قضية فلسطين، القضية المركزية لدى جميع الشعوب العربية وأيضاً حكامها، وساهم العرب في دعم الثورات الفلسطينية ضد سياسات وممارسات الانتداب البريطاني ووعده بلفور والهجرة الصهيونية في الأعوام 1922 و 1933 و 1936 والمؤتمرات البريطانية منذ مؤتمر قصر سانت جيمس عام 1939 الى قرار تقسيم فلسطين 181 عام 1947، ثم النكبة الفلسطينية عام 1948

المرحلة الثانية: "ثورة الضباط الأحرار وحكم العسكر" في سوريا / مصر / العراق / والجزائر، 1949، 1952، 1958، 1962، بعد انكسار نظام النخب العربية أمام النكبة الفلسطينية وقرار تقسيم فلسطين عام 1947 وقيام دولة إسرائيل في وسط الوطن العربي، جاءت الانقلابات العسكرية والثورات الوطنية ضد الأحلاف الأجنبية وضد الاستعمار الاقتصادي والهيمنة السياسية وتبني "النظام العربي"، الفكر الاشتراكي واليساري من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية والحرية والديمقراطية، وتحولت مأساة فلسطين في هذه المرحلة الى قضية لاجئين، وسارع الغرب يعرض مشاريع "التعويض والتوطين"، مثل مشاريع جونستون وجونسون وهمرشولد، والرئيس الأمريكي أيزنهاور وأيضاً حلف بغداد.

وأمام عجز "النظام السياسي" حكم النخبة القومية مرة أخرى خلال حقبة الخمسينيات وحكم العسكر في الستينيات في مجابهة إسرائيل ومشاريعها خاصة تحويل مجرى نهر الأردن، بالإضافة إلى تراجع الفكر الاشتراكي والتنظيمات اليسارية خاصة بعد سقوط جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفيتي وعجز "النخب الفلسطينية" منذ تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر القمة العربي في بيت العرب (القاهرة) عام 1964 أمام نكسة حزيران 1967، جاءت بدايات المقاومة الفلسطينية ونهوض التيارات الفكرية الإسلامية، وخاصة الثورة الإسلامية في إيران 1979 بقيادة الإمام الخميني التي تزامنت مع بداية "تطبيع" النظام العربي مع إسرائيل في اتفاقيات كامب ديفيد عام 1978!

المرحلة الثالثة: "الإسلام السياسي" كتيار فكري وطني لرفض التبعية للغرب والوجود العسكري الأمريكي في أعقاب حرب الخليج الأولى، وانعقاد مؤتمر مدريد للسلام عام 1991، ثم بداية المفاوضات الثنائية في واشنطن والمتعددة في موسكو تمهيداً "لحل سياسي" للصراع العربي - الإسرائيلي، ثم في خطف أسامه بن لادن لرسالة الإسلام في جريمة 11 أيلول (سبتمبر) 2001 اثر نسف برج التجارة العالمية في نيويورك وتحول العالم الغربي الى ثقافة الخوف من الإسلام.

المرحلة الرابعة: اليقظة العربية الثانية بعد ثلاثة وأربعة عقود من نظام "حكم الفرد" في تونس ومصر وليبيا واليمن وغيرها .. وبعد إهانة وإذلال الشعب العربي في سقوط بغداد والاحتلال الأمريكي للعراق وتراجع الأيديولوجيات الثلاثة: البعد القومي العروبي ثم اليسار الاشتراكي واخيراً الإسلام السياسي، جاءت اليقظة العربية الثانية من أجل الكرامة وحقوق المواطنة ودولة القانون..

